الفارق بين مقابلة جماعات المناقشة المركزة والمقابلة المتعمقة اثناء جمع البيانات : جماعات المناقشة المركزة كخبرة فريدة ومصدر متميز للبيانات .

عند التفكير في سبب رغبة الباحث في استعمال مقابلات جماعات المناقشة المركزة كجزء من خطة البحث في مقابل المقابلات المتعمقة التي تدور بين فردين ( الباحث والمبحوث ) , لابد من بحث الفروق بين هاتين الطريقتين من المقابلات الكيفية . ومع ان من الفروق الواضحة كون جماعات المناقشة المركزة هي الطريقة الوحيدة من طرق المقابلة الكيفية التي يتم فيها اجراء المقابلة مع عدد من المبحوثين في وقت واحد , فما هي اهمية هذا الفارق الفعلية فيما يتصل بانواع الاسئلة البحثية التي تساعدنا جماعات المناقشة المركزة في الاجابة عليها وبالشكل الخاص للبيانات التي يتم توليدها من خلال جماعات المناقشة المركزة ؟

تعتبر مقابلات جماعات المناقشة المركزة مختلفة اختلافا جوهريا عن المقابلات المتعمقة , لان البيانات يتم توليدها في جماعة مكونة من الباحث والمبحوثين . فهي عملية دينامية قائمة على التفاعل بين افراد متعددين . ويمكن النظر الى هذه الدينامية بوصفها منتجة " لحدث معين " لا يمكن تكراره . وبتعبير اخر نقول : ان هذا التفاعل وهذا الحوار اللذين يجريان داخل اي جماعة معينة لن يعاد انتاجهما داخل جماعة اخرى حتى لو كان الباحث الذي يجرى المقابلة هو نفسه . ويرجع ذلك الى ان المبحوثين – حتى لو كان لديهم اراء واتجاهات وخبرات حياتية متشابهة – ليسوا مجرد افراد يردون على القضايا التي يطرحها الباحث , بل يردون كذلك على بعضهم البعض ويتجاوبون مع القوة المحركة للجماعة ككل . وان بامكان نفس الباحث ان يجري مقابلتين من مقابلات جماعات المناقشة المركزة تتناولان نفس الموضوع , ومع مبحوثين يتقاسمون خصائص مشتركة , ومع ذلك فان هذه البيانات ستختلف لانها انتجت داخل حوار مختلف . وبالمثل , فان الحوار يشجع انواعا من التواصل التي لا يحتمل ان تجري في مقابلة متعمقة ( والتي تظل بعيدة بصورة تكاد تكون تامة عن متناول البحث المسحي ) . وتعد اشكال التواصل المذكورة مصدرا مهما للبيانات كما يمكن ان تكون جزءا مهما من عملية بناء المعرفة , خاصة في البحث الكيفي .

ان اشكال التواصل التي تجري في الحياة اليومية , من قبيل : النوادر , والدعابات والاستعمال الفضفاض للكلمات ( التي تحتمل معاني كثيرة ) قد تخبرنا بالكثير , ان لم يكن بما هو اكثر , عما "يعرفه" الناس . وبهذا المعنى تصل جماعات المناقشة المركزة الى ذلك الجزء الذي لا تستطيع الطرق الاخرى ان تصل اليه – كاشفة عن ابعاد من الفهم تظل في كثير من الاحيان عصية على ان تتوصل اليها طريقة المقابلة ذات الطابع التقليدي والقائمة على الحوار بين شخصين او عن طريق الاستبيان .

وقد ينظر لجماعات المناقشة المركزة كحدث يجري فيه حوار ثري , ولكن رغم ان هذا الحوار دينامي لا يمكن التنبؤ بمساره , فانه لا يجري بصورة تلقائية ابدا , بل يتم ترتيبه دائما من اجل تحقيق اهداف البحث . وان من الاهمية الا نخلط بين البناء الحواري لجماعات المناقشة المركزة والكلام الذي يجري بصورة تلقائية, وذلك لان مقابلات جماعات المناقشة المركزة يتم بناؤها بمعرفة الباحث . وتتمثل السمة الجوهرية لجماعات المناقشة المركزة اثناء جمع البيانات في ان دينامية الجماعة هي التي تبدا في خلق القصة . وتبدا القصة التي تقدمها هذه الجماعة بالسيطرة على انتاج البيانات وتوجيه هذا الانتاج. وتبعا لذلك , فان مقابلات الجماعات تعتبر عظيمة الفائدة في تعيين وتمييز اللغة , والتعريفات , والمفاهيم التي يجد شركاء البحث ( المبحوثين ) انها ذات معنى وهم يشقون طريقهم خلال ما يعايشونه من خبرات حياتهم اليومية .

يضمن العمل الجماعي ان تكون الاسبقية لما لدى المبحوثين من تدرج هرمي لاهمية الموضوعات , ولما يخصهم من اللغة التي يتكلمون بها والمفاهيم التي يفكرون وفقا لها , ولما يخصهم من اطر عقلية لفهم العالم .

ان انتاج هذا النوع من البيانات , يجعل جماعات المناقشة المركزة اداة شائعة يزداد اللجوء اليها في تطوير اسئلة المسوح الاجتماعية . ورغم ذلك , فان هذا الجانب من العمل مع الجماعات قد يكون شديد الجاذبية للباحثين الذين يعملون انطلاقا من المنظورات الفكرية ذات المضامين السياسية كالنزعة النسوية ونزعة ما بعد الحداثة . وفي هذا الاتجاه , يبين فراي 1991 ان المقابلات التي تجري مع الجماعات تخفف من بعض الهواجس التي تنتاب الباحثين الاخذين بما بعد الحداثة فيما يتصل بالوضع التدرجي القائم بين الباحث والمبحوث حتى في المقابلة المتعمقة . فالباحث – كما هو معهود – يحظى بامتياز اساسا بوصفه الطرف " صاحب السلطة " . ولكن جماعات المناقشة المركزة تخلق البيانات المستمدة من الاصوات المتعددة , والتي تشترك معا في خلق قصة ما .

في الوقت الذي نشير فيه الى سياق جماعة المناقشة المركزة كحدث , فان الدينامية التي تتولد داخل هذه الجماعة يطلق عليها مصطلح مفعول الجماعة . ويمثل مفعول الجماعة مصدرا مهما وفريدا للبيانات , كما انه يعتبر السبب في كون البيانات المستمدة من جماعات المناقشة المركزة ليست مساوية للمجموع الكلي للبيانات المتحصلة من المقابلات الفردية .

ان ما يجعل النقاش الدائر في مقابلات جماعات المناقشة المركزة يفوق المجموع الكلي للمقابلات الفردية هو ان الافراد المشاركين فيها يسالون بعضهم بعضا كما ان كل واحد منهم يشرح موقفه للاخرين ... ويقدم مثل هذا التفاعل بيانات قيمة عن حجم الاجماع وعن مدى الاختلاف بين الافراد المشاركين .

عندما يقول احد المبحوثين تعليقا يبدو انه يدل على عدم موافقته على تعليق قاله مبحوث اخر , فقد يدون الباحث ملحوظة بهذه الواقعة , مستخدما اياها كعلامة يرجع اليها لاحقا , وذلك من اجل توضيحها , وتدقيقها , والاستزادة من بحثها . ومع ان الاتفاق والاختلاف يعتبران جانبين